

أقلام نجفية من أصول حلية
مُحمَّد علي كمال الدين وكتابه
(النجف الأشرف في ربع قرن منذ ١٩٠٨م)
أنموذجاً

**Najaf Pens from Hilla Origins
Muhammad Ali Kamaluddin and his Book
(Honorable Najaf in Quarter of Century Since
1908) as an Example**

أ.د. مقدم عبد الحسن باقر الفياض
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

**Prof. Dr. Miqdam Abdul Hasan Baqir Al-Fayadh
Kufa University of Kufa\College of Education for Girls**

ملخص البحث

شهد العراق ظهور نخبة طليعية مثقفة من أبنائه حاولت النهوض العلمي والتربوي ببلدها بعد تأسيس الدولة العراقية المعاصرة عام ١٩٢١م، وذلك لمساعدته على اللحاق بركب التقدم الحضاري الذي شهده العالم آنذاك. تناول البحث الجهود العلمية لكاتبٍ حليّ نجفي بارز، هو محمد علي كمال الدين الذي يُعدّ من المؤرخين العراقيين المعاصرين المعروفين، وشاهدٍ حيٍّ على حقبة مهمة من تأريخ مدينته ووطنه العراق. اتسمت أعماله - لا سيما الكتاب موضوع البحث - بدقة التوصيف للوقائع التاريخية، التي رسمها من خلال ذاكرة فذة قلّ نظيرها. وكانت لديه ثقافة واسعة، اكتسبها من خلال اطلاعه المعمق على مصادر المعرفة التاريخية الشفاهية وعلاقاته الاجتماعية الطيبة.

سلّط المبحث الأوّل الضوء على أسرة آل كمال الدين الحليّة ومكانتها العلمية، وما أنجبته من أعلام في مجال الدين والأدب والسياسة، مع الإشارة الى الأعلام والأسر النجفية التي تنحدر من أصول حليّة، وما تركته مدينة الفيحاء من الآثار البارزة والبصمات الطيبة على قريبتها في العلم والجهاد النجف الأشرف. ودرس جزءاً مهماً من حياة كاتبنا (محمد عليّ كمال الدين) بدءاً من ولادته وعائلته ودراسته، ومن ثم مساهمته الفاعلة مع النخبة النجفية المثقفة في الحركة الوطنية العراقية منذ مرحلة مبكرة من القرن العشرين. وتمّ التعريف الموجز بأهمّ نتاجاته الفكرية. أمّا المبحث الثاني فقد خُصّص لدراسة كتاب (النجف الأشرف في ربيع قرن منذ عام ١٩٠٨)، ومحاولة التعرف على أهمّ مضامينه ومادّته والأحداث التاريخية التي عالجها وأهميته العلمية والأسلوب

الذي أتبعه مؤلفه في كتابته . فيما تناول المبحث الثالث مصادر الكتاب وكيفية توثيق المؤلف لإحالاته ورؤيته في المسانيد التي ترجع لها معظم معلوماته . واعتمد البحث جملة متنوعة من المصادر، تقف في مقدّماتها مؤلّفات محمّد عليّ كمال الدين وعدد من المطبوعات التي تخصّ تاريخ النجف الأشرف وكتب الموسوعات والتراجم والسّير.

Abstract

After establishing the contemporary Iraqi state, an educated elite of Iraqi people arose and tried to help their country make progress in educational and scientific aspects spread all over the world. This paper deals with scientific efforts of Najaf famous writer, Muhammed Kamal A'deen who is considered to be one of the contemporary Iraqi historians well-known for their interests in honorable Najaf history, and he is a living witness of the important period of the history of his city and country, Iraq. His works, especially the book dealt with in this paper, were characterized by describing the historical events exactly. He had wide knowledge which he got through his deep reading of historical knowledge sources and his good social relationships.

The first topic shed the light on Kamal A'deen's family, its scientific position and its famous men in the field of religion , literature and policy. It also studies an important part of our writer's life starting from his birth , family and study then his effective contribution with educated Najaf elite in Iraqi national

movement since an early stage of twentieth century.

As for the second topic, it deals with the book entitled "Honorable Najaf in quarter of Century since 1908" and an attempt to know its contents and historical events mentioned in it and its scientific importance and the method followed by its author in his writings.

While the third topic , it studies book sources , how the author write down and his point of view about references from which all his information is taken from.

This paper depends on various group of sources. The first important ones are Mohammed Kamal A'deen's Book , number of publications related with the history of honorable Najaf and books of encyclopedias and biographies.

المقدمة

يُعدُّ محمّد عليّ كمال الدين الحليّ النجفيّ من العلماء البارزين الذين جادت بهم مدينة الحِلّة الفيحاء على قريبتها في العلم والجهاد النجف الأشرف، وهو فضلاً عن ذلك من كبار التربويين العراقيين المعاصرين الذين عُرفوا باهتمامهم بالكتابة في تاريخ العراق عموماً، والنجف الأشرف على نحو الخصوص، وشاهداً حياً على حقبة مهمّة من تاريخ وطنه العراق. اتّسمت أعماله - ولاسيما الكتاب موضوع البحث - بدقّة التوصيف للوقائع التاريخيّة التي رسمها بذاكرة فذّة قلّ نظيرها. وكانت لديه ثقافة واسعة، اكتسبها في ضوء اطلاعه المعمّق على مصادر المعرفة التاريخيّة الشفاهيّة والمدوّنة، وعلاقاته الاجتماعيّة الواسعة.

سلّط المبحث الأوّل الضوء على أسرة آل كمال الدين الحليّة ومكانتها العلميّة، وما أنجبت من أعلام في مجال الدين والأدب والسياسة في موطنها الأوّل (مدينة الحِلّة)، ودرس جزءاً مهمّاً من حياة كاتبنا (محمّد عليّ كمال الدين) بدءاً من ولادته وعائلته ودراسته، ومن ثمّ مساهمته الفاعلة مع النخبة النجفيّة المثقّفة في الحركة الوطنيّة العراقيّة منذ مرحلة مبكّرة من القرن العشرين. والتعريف الموجز بأهمّ نتاجاته الفكرية.

أمّا المبحث الثاني فقد خُصّص لدراسة كتاب (النجف الأشرف في ربيع قرن منذ عام ١٩٠٨م)، ومحاوله تعرّف أهمّ مضامينه ومادّته، والأحداث التي عالجها، وأهمّيّته العلميّة، والأسلوب الذي اتّبعه المؤلّف الحليّ النجفيّ في كتابته.

وتناول المبحث الثالث مصادر الكتاب وكيفية توثيق المؤلف لإحالاته ورؤيته في المسانيد التي ترجع لها معظم معلوماته. واعتمد البحث جملة متنوّعة من المصادر، تقف في مقدّماتها مؤلّفات محمّد عليّ كمال الدين، وعدد من المطبوعات التي تخصّ تاريخ النجف الأشرف، وكتب الموسوعات والتراجم والسّير.

المبحث الأول

مؤلف الكتاب.. أسرته الحليّة النجفيّة وأثره في الحركة الوطنيّة العراقيّة

تعدُّ مدينة الحِلَّة (تلك المدينة العراقيّة العريقة، ٦٠ كم شمال شرق النجف) إحدى أهمِّ المراكز الحضريّة التي انحدرت منها الكثير من الأسر النجفيّة العلميّة البارزة، وقد حدث انتقال بعض الحليّين إلى النجف في مراحل تاريخيّة مختلفة، ابتدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ، تحت ضغوط سياسيّة واقتصاديّة وأمنيّة متشابكة، اجتاحت البلاد في العهد العثمانيّ، وجعلتها عرضة للصراعات القبليّة الدامية والحالة المعاشيّة المُدقّعة، وهاجر عددٌ من أبنائها إلى النجف؛ طلباً للعلم وحبّاً في جوار مرقد سيّد الأوصياء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ويبدو أنّ نوعيّة المهاجرين الحليّين كانت من فئة متميّزة، فقد ظهرت منهم بيوتات علميّة اختارت النجف موطناً مؤقتاً أو دائماً لها، مثل (آل القزوينيّ) ومنهم العلامة السيّد مهديّ بن حسن الحسينيّ القزوينيّ الحليّ، عالماً جامعاً من الفقهاء الأصوليّين، وُلد في الحِلَّة وعاش ونشأ وتوفّي في النجف سنة ١٨٨٢م^(١). و(آل الطريحيّ) ومنهم الشيخ فخر الدين الطريحيّ صاحب كتاب مجمع البحرين (توفّي في النجف سنة ١٧٠٧م)، و(آل الشّماع) وينسبون إلى نويصر المزيديّ الأسديّ، و(آل سماكة) المعروفين بعلمائهم وأدبائهم الأفاضل، رجعوا إلى الحِلَّة في نهاية القرن الرابع عشر الهجريّ، و(آل السهلاويّ) أسرة كريمة فاضلة، تولّت سدانة مسجد السهلة المعظم، و(آل الخضريّ، آل الشيخ راضي، آل كاشف الغطاء) وكلّهم يُنسبون

إلى جدّهم الشيخ خضر بن محمّد المالكيّ الذي هاجر من قرية جناحة في الحلة إلى النجف الأشرف في مطلع القرن الثامن عشر الميلاديّ، وغيرهم كثير من الأسر النجفية المرموقة الحليّة الأصل^(٢). وهناك المدرسة (السليميّة) في النجف، بناها مرجع الطائفة في وقته الشيخ الحليّ مقداد بن عبد الله السيوريّ الأسديّ (توفيّ سنة ١٤٠٧م)، وهي مدرسة علميّة دينيّة، مازالت شاخصة إلى الآن بحلّتها الجديدة في وقتنا الحاضر^(٣).

والجدير بالذكر أنّ كثيرًا من الحليّين قد احتلوا مواقع علميّة وثقافيّة مرموقة في مجالس النجف ومنتدياتها وجمعياتها وحوزتها العلميّة الرشيدة، لدرجة أنّ لقب (الحليّ النجفيّ)، و(الحليّ الغرويّ)، و(الحليّ المشهديّ) قد شاع في أوساط الحوزويّين^(٤)، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ حسين بن عليّ الحليّ النجفيّ، وهو أحد نوابغ عصره، تميّز بالتحقيق والتدقيق، ويعدّ من أبرز أساتيد المرجع الدينيّ الأعلى الحاليّ السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ رحمته الله^(٥).

ينتسب المؤلّف إلى أسرة آل (كمال الدين)، وهي من الأسر الحليّة العلميّة، ذات المكانة الدينيّة السامية بين أهالي تلك المدينة، اشتهرت بهذا الاسم (كمال الدين) نسبةً إلى الجدّ الثاني عشر لمؤلّفنا، والذي ساعدته منزلته الروحيّة وانحداره إلى النسب الحسينيّ العلويّ الطاهر أن يكون مرجعًا للإفتاء وحلّ الخصومات جنوب شرق الحلة^(٦)، وأن يتولّى عدد من ذريّته نقابة الأشراف هناك^(٧)، حينما كانت تلك المدينة تعدّ حاضرة العراق العلميّة والاقتصاديّة^(٨)، ولاسيما أنّ الحياة الفكرية انتعشت واستقرت في مدينة الحلة منذ أواسط القرن السابع الهجريّ، في عهد اثنين من علمائها اللامعين، وهما الشيخ ابن إدريس العجليّ الحليّ (ت ٥٩٨هـ)، وبعده المحقّق الحليّ (ت ٦٧٦هـ)، وكان بروزهما إيذانًا بانتعاش المدرسة الحليّة؛ إذ أصبحت من الحواضر العلميّة الكبرى، وأخذت تستقطب عددًا كبيرًا من العلماء وطلبة العلوم الدينيّة، وانتقل معهم المركز العلميّ

من بغداد إلى الحِلَّة بعد الغزو المغولي^(٩)، وشهدت مدينة الحِلَّة حركة علمية أوصلتها إلى مكانتها المرموقة بين المدارس الفكرية في العالم الإسلامي، واستمرَّ عطاؤها بين مددً وجزرٍ طوال المدَّة التي أعقبت ذلك، ولا سيما مع ظهور علم حليّ بارز هو فخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحليّ من وجوه الطائفة وأعيانها (ت ٧٧١هـ)^(١٠).

وشهدت المدينة نهضة أدبية كبيرة، لعوامل ذاتية، تتعلق معظمها بطبيعة الحِلَّة الساحرة، والمجتمع الحليّ الولاد للمبدعين، وكان لهذه النهضة المتدفقة بفضل طبيعتها المتفرّدة أثرٌ مشرّفٌ في حفظ تراث الأمة الأدبيّ وبعثه من جديد، وتحصين هوية العراق من الضياع طيلة العهد العثمانيّ، على الرغم من ضراوة التحدّيات التي كانت تواجه البلاد، والمدّ الأعجميّ المحدق به، والولاية الأجنبيّة المُتسم أكثرهم بطابع السطوة والتسلّط^(١١). وكان للأجواء العلمية والروحية والعوامل التي اختلطت بين الدين والعلم أثرٌ بالغ في ظهور نخبة سياسية، كانت لها كلمتها عن طريق عملها في الحركة الوطنية، واحتكاكها بالأوساط الجماهيرية، وكذلك عملها في المؤسّسات الدستورية والحزبية، ودوائر الدولة، وظهرت شخصيات حليّة ناشطة لها مواقف وأفكار، استطاعت أن تحظى باحترام وقبول لدى كثيرٍ من شرائح المجتمع، وعُرفت على صعيد السياسة الداخلية للعراق، ومنها شخصيات بارزة من أسرة آل كمال الدين عُرفت بروحها القومية ودعمها للمواقف الوطنية، والقوى المناضلة ضد الاستعمار، لاسيما منذ الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤ - ١٩٢٠م^(١٢).

وكذلك أنجبت الأسرة عددًا ليس بالقليل من العلماء المجتهدين ومن الأدباء والشعراء البارزين، نذكر منهم أبا عليّ حسين بن كمال الدين الحسيني الحليّ (حيًا سنة ١٠٩٧هـ)، عالم فقيه، وشاعر محدّث، له كتاب في النحو، وكتاب في التصريف^(١٣).

ومن الشعراء السيّد جعفر الحليّ (١٨٦١-١٨٩٧) ذو المنزلة الرفيعة في الأوساط العلميّة والأدبيّة ومن مشاهير شعراء عصره، له الديوان المعروف بـ(سحر بابل وسجع البلابل)^(١٤)، ولدنا أيضًا (حمد كمال الدين) عالم وأديب، و(هاشم كمال الدين) عالم فاضل وأديب، انتقل إلى الكوفة معتمدًا للمرجعيّة الدينيّة حتى وفاته عام ١٩٢٣^(١٥). ووالده السيّد عيسى كمال الدين الذي يُعدُّ من كبار علماء النجف الأشرف، تميّز بأفقه الواسع وفكره النيّر الجريء ووطنيتّه العالية، ارتحل إلى الاحواز واعظًا ومرشدًا حتّى توثقت علاقاته مع عشائرها^(١٦). وبرز من آل كمال الدين الحليّين (هادي حمد كمال الدين ١٩٠٥-١٩٨٦م) عالم وشاعر وأديب كبير، درس في الحوزة العلميّة النجفيّة، ولمّا عاد إلى مدينته أسّس في الحلة المدرسة الكماليّة للعلوم الدينيّة، وأصدر مجلّة التوحيد وجريدة الحقيقة، أصدر عددًا من المؤلّفات، منها: (أزاهير شتّى، التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير) بجزأين، (فقهاء الفيحاء)، وهو كتاب تراجع لأعلام الحلة من الفقهاء بجزأين، (من مخازي الشيوعيين)، (تحفة الحضرة والأعراب في علم النحو والإعراب)، وهو أرجوزة في علم النحو، ديوان شعر ضخّم^(١٧).

ونظرًا لاكتساب النجف الأشرف المركزيّة الفكرية بين المسلمين الشيعة، وانتقال ثقل المرجعيّة الدينيّة العليا من الحلة وسامراء إليها مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، انتقلت إليها عوائل معروفة من كربلاء والحلة، ومنها (آل كمال الدين) في أواسط القرن التاسع عشر^(١٨).

وُلد السيّد محمّد عليّ بن عيسى بن محمّد حسن بن عيسى بن كامل بن منصور بن كمال الدين الحسيني الحليّ في مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٠٠م^(١٩) في عائلة جليلة القدر، نشأ على يد والده، وأخذ منه علوم العربيّة من بلاغةٍ ونحوٍ ومنطقٍ، ثمّ درس الفقه وأصول الحديث في الحوزة العلميّة الشريفة، وظهر تفوّقه على أقرانه في

جانِبٍ مهمٍّ منها، وهو اللغة والأدب^(٢٠). وقد شرع بتطوير قدراته الذهنيّة ومهاراته الكتابيّة بمطالعة الصحف والمجلاّت العربيّة الحديثة، ولاسيما المصريّة والسوريّة منها، ومراجعة الكتب في دار الكتب (قراءة خانة) أو ممّا يستعيره من كبار الأدباء، وقد تعلّم شيئاً من التركيّة في المدرسة الرشديّة الحكوميّة المسائيّة في النجف^(٢١).

ومنذ عام ١٩١٩م ظهر نشاطه المتصاعد في إطار الحركة الوطنيّة العراقيّة ضد الاحتلال البريطانيّ؛ إذ استعان به المثقّفون الوطنيّون في ضمن وفد نجفيّ لإقامة صلوات وثيقة مع أقطاب الحركة الوطنيّة في بغداد، مثل الحاج محمّد جعفر أبو التّمّن (١٨٨١-١٩٤٥م)، والسيد محمّد الصدر (١٨٨٢-١٩٥٦م)؛ وذلك للحيلولة دون تشكيل مجالس الألوّية التي أراد منها المحتلّون أن تكون قواعد إسناد لهم مستقبلاً^(٢٢).

عمل كمال الدين بوصفه عضواً بارزاً ضمن مجموعة شبابيّة نجفيّة كانت تعمل كنواة تحريضيّة ضد إدارة الاحتلال البريطانيّ، وحركة تمهيدية للثورة عليه، منهم الشيخ محمّد رضا الشبيبيّ (١٨٨٩-١٩٦٥م)، وأخوه محمّد باقر الشبيبيّ (١٨٨٩-١٩٦٠م)، وأحمد الصافيّ النجفيّ (١٨٩٧-١٩٧٧م)، وسعد صالح جريو (١٨٩٤-١٩٤٩م)، متّخذين من محلّ إقامة محمّد عليّ كمال الدين في إحدى المدارس الدينيّة ومكتبة عبد الحميد زاهد داخل الصحن الحيدريّ الشريف مقرّاً لاجتماعاتهم، ومنطلقاً لتوسيع دائرة نشاطهم الرافض لمبدأ الحماية البريطانيّة بأيّ صورة إلى مختلف أنحاء العراق^(٢٣).

انضم محمّد عليّ كمال الدين مع نخبة من أبرز زملائه من الطليعة المثقّفة إلى الجناح السياسيّ لجمعية النهضة الإسلاميّة النجفيّة، والتي استهدفت الدعوة لتخليص العراق من السيطرة البريطانيّة، وإثارة اهتمام المسلمين؛ لضمان استقلاله، وكان بعض أعضاء الجمعية من حملة السلاح المندفعين قد قاموا في (١٩ آذار ١٩١٨) بالهجوم على مقرّ الحاكم البريطانيّ في النجف وقتل الكابتن مارشال؛ لتكون هذه الحادثة شرارة لاندلاع

انتفاضة وطنية عارمة، واجهها البريطانيون بكثيرٍ من وسائل العنف والقتل والتنكيل، وحاصرت الأهالي وقتلتهم حتّى اضطرّتهم للتسليم، وقامت باضطهاد الوطنيين النجفيين وتعذيبهم، ونُفي أكثر من مئة وعشرين شخصاً خارج بلدهم، من بينهم محمّد عليّ كمال الدين^(٢٤).

وبعد عودته إلى العراق، بقي كمال الدين يعمل مع عدد من العلماء المجاهدين والمتقنين الوطنيين يتقدمهم الشيخ عبد الكريم الجزائري، وأخوه محمّد جواد الجزائري، والشيخ محمّد جواد الجواهري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، فضلاً عن عدد كبير من الأدباء والوجهاء والأعيان، ونتيجة للنشاطات الواسعة التي اضطلع بها (حزب النجف) التحق بهم كثيرٌ من زعماء عشائر الفرات الأوسط^(٢٥).

وسرعان ما انتشرت دعاية الحزب، واستطاع أن يتفق مع قادة الحركة الوطنية بأن تقام المآتم الحسينية والموايد النبوية في بغداد وبعض المدن العراقية، ويحضرها أبناء كلتا الطائفتين؛ لتكون قاعدة لإقامة المظاهرات وانتخاب الوفود الممثلة لأبناء العراق^(٢٦).

ومع اندلاع الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م أضحي كمال الدين أحد أبرز كوادرها الإعلامية المتقدّمة؛ إذ أشرف على تحرير جريدة (الاستقلال) النجفية، وشارك في تحرير جريدة (الفرات)، وهما لسان حال الثورة، والناطق باسم قياداتها، والناقل لأخبارها ويوميّاتها، وكان يشارك في الوقت نفسه مع الشاعر الثائر في تحرير البلاغات العسكرية التي كانت تطبع في النجف باسم الثورة، ويقوم ببثّ الدعاية لفتاوى علماء الدين الثائرين، وإيجاد حركة إعلامية لمراسلاتهم المتبادلة مع الحكّام والضباط البريطانيين^(٢٧).

ولمّا فتحت الثورة مكاتب لها في بعض المدن المهمة، تولّى محمّد عليّ كمال الدين

إدارة مكتب النجف مع جمع من الشباب الواعي، من بينهم قريباه (حسين وسعيد كمال الدين)، وحضر في ميادين القتال حينما رافق المجاهدين المرابطين في معسكرهم جنوب الحِلَّة، وقام بتسجيل مذكّرات مهمّة عن سير المعارك اليومية مدّة بقائه هناك^(٢٨).

وبعد إخفاق الثورة في تحقيق أهدافها على المستوى المنظور، وسقوط مدنها بيد المحتلّين، لجأ هو وعدد من زملائه إلى الكويت، ورجع إلى البلاد بعد صدور العفو العام عن الثوّار في العراق^(٢٩).

ومع تأسيس الدولة العراقيّة الحديثة بتويّي فيصل بن الحسين عرش العراق، توجه محمّد عليّ كمال الدين إلى مجال التعليم الذي أبدع فيه في الحقيقة، مخصّصاً له جُلّ وقته وغاية مجهوده؛ إذ التحق بدار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٢١م، وتخرّج منها، إذ عُيّن معلّمًا في المدارس الابتدائيّة، فمديرًا لإحداها، ثمّ عمل مدرّسًا في بعض المدارس الثانويّة، وأخيرًا ملاحظًا لمجلّة المعلم الجديد، وكان أوّل مقال كتبه قد نشرته مجلّة (اللسان) البغداديّة^(٣٠).

ولم يكتفِ بذلك، فقد شرع مع حسين كمال الدين بتأسيس أوّل مدرسة أهليّة عربيّة حديثة في النجف عام ١٩٢٢م، هي مدرسة (الغريّ)^(٣١) بقسمين: نهاريّ ومسائيّ، يدرس فيها الطلبة الموادّ العلميّة والإنسانيّة، في محاولة جادّة مبكّرة للمزج بين الثقافتين التقليديّة والعصريّة في النجف، تلك المدينة التي عُرفت ببيتها المحافظة^(٣٢).

بعد ذلك أُحيل محمّد عليّ كمال الدين إلى التقاعد بطلبٍ منه عام ١٩٥٩م، بعد رحلة عمل طويلة مليئة بالعطاء في حقل التربية والتعليم، تلك المرحلة التي امتدّت إلى ما يقارب الأربعين عامًا، كان فيها مثلاً طيبًا للمعلّم الحريص الموجّه، والمربيّ المخلص الشريف^(٣٣).

توفي كمال الدين في محلّ سكنه الجديد في بغداد يوم الاثنين الموافق ٧ شباط ١٩٦٦، فحُمِل إلى النجف الأشرف ودُفِن فيها^(٣٤)، ورثاه الأدباء وأصحابه وعارفو فضله.

وفي مجمل القول، فإنَّ محمّد عليّ كمال الدين كان واحداً من المثقّفين المبرزين في النجف في مرحلة حسّاسة من تاريخ العراق المعاصر، حفلت بكمّ كبيرٍ من العمل الوطنيّ التأسيسيّ للدولة العراقيةّ الفتية، تسابق فيها المثقّفون الوطنيون لأخذ دورٍ فعّالٍ في المشاركة والقيادة في البلاد، سواء منهم ذوي الخلفية الفكرية التقليدية أم التوجّه الحديث المتألق، أو الذين مزجوا بينهما.

كان كمال الدين كاتباً شاعراً أديباً باحثاً محققاً، ترك من النتاجات العلمية ما تذكره المكتبة العربية بكلّ اعتزازٍ وفخرٍ، وتراوحت مؤلّفاته بين كتبٍ ومحاضراتٍ ومقالاتٍ، وله كتب في المذكرات والتراجم، نشر أجزاءً من كتبه في مجلّات نجفية مختلفة، مثل (مجلة الهاتف)، و(مجلة البيان)، و(مجلة الاعتدال)، و(مجلة الغري)، ونذكر من مؤلّفاته ما يأتي:

- كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨م): وهو ما سندرسه تفصيلاً في المبحث الثاني.

- سعد صالح: من عنوان الكتاب هذا، يمكن الاستدلال على مضمون الكتاب، إذ تناول فيه حياة أحد مقرّبيه ورفاق دربه الذين شاركوه شبابه ونضاله في مرحلة مقاومة الاحتلال البريطانيّ وثورة العشرين، طُبِع في بغداد عام ١٩٤٩م، وهو كتاب قيّم، تمّ فيه تسجيل نشأة (سعد صالح)^(٣٥)، وبدايات حياته، وتطور آرائه في السياسة والأدب والاجتماع، وتولّيه مناصب سياسية وإدارية مثل متصرّفية لواء الديوانية، ونائب في البرلمان ووزارة الداخلية عام ١٩٤٦م، وتضمّن تفاصيل مهمة

وطريفة عن سيرته وعلاقاته الاجتماعية وصلاته العائليّة والمراسلات الشخصية التي حملت معلومات شيّقة^(٣٦).

- ذكرى السيّد عيسى آل كمال الدين: وهو عبارة عن كتيّب صغير، لا يتعدّى عدد صفحاته الخمسة والعشرين، طُبِعَ في بغداد عام ١٩٥٧م، ولا يقتصر على القصائد والمقالات التي قيلت في الحفل التابينيّ الذي أقيم بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة والده، بل حوى على معلومات مهمّة عن حياة الأخير ونضاله، ومعلومات عن أصل الأسرة ونسبها^(٣٧).

- مذكّرات السيّد محمّد عليّ كمال الدين: عمد كمال الدين إلى كتابة مذكّراته الخاصّة، والتي بدأها بالتعريف عن شخصيّته ونبذة مختصرة عن حياته، ثمّ بعد ذلك، كتب مشاهداته عمّا عاصره من أحداث العراق بشكل عام، والنجف على نحو الخصوص، وفي صفحات لاحقة، قام ببيان دور بعض زعماء الحركة الوطنيّة من مثقّفين وشيوخ عشائر. وتعدّ هذه المذكّرات مهمّة جدّاً، فيما تحمله بين ثناياها من ذكريات شابٍّ معاصرٍ للثورة، وملاحظات أديبٍ كان في طليعة الشباب الواعي الذي اعتمدت عليه قيادتها، ولاسيما في الجانب الإعلاميّ. وقد رافق الثورة منذ بدء الدعوة لها وتخطيطها ومفاوضاتها وساحات القتال فيها، بحيث عمل على تصويرها تصويراً رقيقاً في مذكّراته. وقد عمل الكاتب كامل سلمان الجبوريّ على جمع هذه المذكّرات مع بعض الإضافات إلى المواضيع التي تحتاج بعض الشرح والإيضاح^(٣٨).

- التطوّر الفكريّ في العراق: طُبِعَ عام ١٩٦٠م، ضمّ فيه المؤلّف آراءه الخاصّة بالتيارات الفكريّة وتطور التعليم في العراق منذ مطلع القرن العشرين حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م^(٣٩).

- ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات عن الثورة العراقيّة الكبرى لسنة ١٩٢٠م: طُبِعَ في بغداد عام ١٩٧١م، ويُعدُّ واحدًا من أبرز مؤلِّفات محمّد عليّ كمال الدين في الجانب السياسيّ، لما أثبتته من معلومات مهمّة عن ثورة العراق عام ١٩٢٠، وما اتّصف فيه الكتاب من دقّة وتحليل للأحداث، وعرض لمعظم تفاصيل الثورة في أنحاء الفرات الأوسط، وأحوال العشائر الثائرة ورؤسائها، وأبرز ما تمخّضت عنه من نتائج^(٤٠).

ولم ينسَ محمّد عليّ كمال الدين أن يبدع في الكتابة عن حقل التربية والتعليم، إذ وضع في ذلك عددًا من النتاجات القيّمة، منها: رسالة في تيسير اللّغة العربيّة، ألفها سنة ١٩٣٩ على شكل تقرير أراد به انتقاد عمل اللجنة التي شكّلتها وزارة المعارف المصريّة، تحتوي آراءً ناعمة ومبتكرة في اللّغة العربيّة، تهدف إلى تيسير اللّغة نفسها لا تيسير قواعد اللّغة، مع شواهد يُثبت فيها صحّة ما ذهب إليه^(٤١).

ولديه رسالة في (تلخيص وتنسيق مرشد المتعلم)، وهو عمل معرّب عن اللّغة الإنكليزيّة، يقع في خمس وعشرين صفحة، ويظهر أثر محمّد عليّ كمال الدين فيه بتفسيره لهذا الكتاب وإعادة نشره بأسلوب مشوّق، يمكّن القارئ الاستفادة منه، وقد ألفه بين عامي ١٩٢٨-١٩٢٩م، ذكره مؤلّفه في مذكّراته، مع كتاب آخر هو (رسالة في الاجتماع) كتاب مساعد لإحدى المقرّرات الدراسيّة^(٤٢).

أمّا آثاره المخطوطة فتمثّلت في أربعة كتبٍ هي: (المعلومات المدنيّة) مجموعة محاضرات ألقاها على طلبته في المدارس الثانويّة تخصّص مادة التربية الوطنيّة، و(رحلة إلى سوريا ولبنان) وثقّ فيها مشاهداته لسفّرتة تلك في عام ١٩٦٣م، و(تقارير في علم المنطق)، و(رسالة الأُمّة العربيّة) ضمّ آراءً بخصوص التّطوّرات السياسيّة والاجتماعيّة التي وقعت في الأقطار العربيّة في النصف الأوّل من القرن العشرين^(٤٣).

المبحث الثاني

كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨)

مضامينه، أهميته، اتجاهات كتابته

صدر هذا الكتاب مطبوعاً في بيروت عام ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوريّ وتعليقه (١٩٤٩-...)، والذي يُعدُّ من الباحثين المتخصّصين في تاريخ النجف الأشرف والكوفة، قدّم كثيراً من الأعمال فيما يخصّ حقل التحقيق والمعرفة التاريخية^(٤٤). ولكتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨م) مكانة بارزة من بين مؤلّفات محمّد عليّ كمال الدين؛ إذ وضع في ٢٧٢ صفحة وخمسة فصول معظم رؤاه وتصوراته عن الأوضاع العامّة في النجف إبان مطلع القرن العشرين، تلك المدينة التي وُلد فيها ونشأ، وقضى بين جنباتها أولى سنوات شبابه وأكثرها زحماً بالنضال والعمل الجمعيّ مع أبناء وطنه ضد الوجود الأجنبيّ. أعطى المؤلّف فكرة عامّة عن النجف من حيث نشأتها وطابعها الذي تتّصف به، وما تعرّضت له هذه المدينة إبان حقبة الحكم العثمانيّ من محنٍ وويلاتٍ وتطوّراتٍ، وغيرها من التفاصيل التي تخصّ جغرافيّة النجف وأماكنها العامّة وتطوّرها الاجتماعيّ والعمرانيّ، فضلاً عن التطوّرات السياسيّة والأمنيّة، وأبرز الأحزاب الناشئة والناشطة فيها^(٤٥).

ولقد أولى المؤلّف عناية كبيرة بالجانب الاجتماعيّ، وخصّص له قدرًا مهمًّا في كتابه، موضّحاً بعض مظاهر الحياة الاجتماعيّة النجفيّة المميّزة لتاريخ هذه المدينة، مثل الانقسام

الحاد الذي تعرّض له مجتمعها إلى تحالفين متناحرين هما (الزكرت والشمرت)، وهما تحالفان قبليّان تقاطلا مدّة طويلة من الزمن تصل إلى عقود، منذ مطلع القرن التاسع عشر^(٤٦)، محدّداً أسباباً ثلاثة لذلك الصدع التاريخي في جسم المجتمع النجفي، وهي بحسب رأيه: أنّ النجف كانت تعيش مرحلة غير متكاملة من الاستقرار السكاني، استمرّ فيها تطوّر المجتمع الحضريّ ونموّه وتدفّق المهاجرين من الريف إلى المدينة؛ وذلك «لأنّ طبيعة الاجتماع لا يعترّيا المرض والتفّسخ إلّا بعد اجتيازها دور التكامل سنّة الله في أرضه»^(٤٧).

وقد أشار محمّد عليّ إلى السببين الآخرين اللذين عقّدا مراحل الصراع الأخرى، وجعلها تكتسح المجتمع النجفيّ وتتطوّر إلى المرحلتين الثانية والثالثة، الثانية: سببها حادث اغتيال السيّد محمود الرحباويّ سنة ١٨١٣م، والرحباويّ نجفيّ كان يقطن منطقة (الرحبة) جنوب النجف، وله فيها مزارع واسعة، وقد اتّهم بقتله أحد النجفيّين المتتمين إلى جماعة الزكرت على خلفيّة الشكّ بعدم تقديمه المساعدة في مقارعة القبائل النجديّة المعتنقة للدعوة السلفيّة المغيرة على أطراف النجف آنذاك، أو امتناعه عن تلبية دعوة المرجع الدينيّ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١٧٤٣-١٨١٣م)^(٤٨) لحضور (مجلس الشرع) لشكوى بني عمّه منه لخلافات بينهما حول أراضٍ زراعيّة^(٤٩). والثالثة: مقتل أحد أفراد عشيرة آل بقر الشام النجفيّين، وانقسام العشائر النجفيّة في الاضطفاف مع ذوي القتل أو مع جماعة القاتل^(٥٠).

وفضلاً عن الصراع العشائريّ بين النجفيّين، فإنّ كمال الدين أشار إلى الانقسام الطبقيّ بينهم، فقد صنّفهم إلى طبقاتٍ ثلاث، هي: ١. أبناء العشائر العراقيّة العربيّة، وأطلق عليهم (المشاهدة)، وتأتي هذه التسمية نسبةً إلى مشهد المرقد العلويّ المطهر، ٢. المهاجرين الأجانب على اختلاف انتماءاتهم، ٣. رجال الدين وما أسماها ب(الطبقة

الروحية) من العلماء وطلبة الحوزة العلمية. وقد أشار إلى أنّ كلاً من هذه الطبقات تكمل الأخرى في عملية التنمية الاقتصادية والبشرية، وتلبية الحاجات الأساسية الأخرى^(٥١).

وتحدّث كمال الدين عن معالم النجف الدينية والتاريخية، فقد أعطى مثلاً صورة دقيقة للمرقد العلوي المطهر، وما فيه من هياة عمرانية كالقبة الشريفة وشكلها، والصحن الحيدري وماذنه وأواوينه المنتشرة حوله، والضريح المقدّس الذي على القبر^(٥٢)، وما يمثله من قدسية جليّة لدى النجفيين وغيرهم، فهم لا يزورونه ويتبرّكون بأعبابه ويستلهمون قيم السموّ والبطولة والإباء فحسب، بل يتخذ الفناء المفتوح أيضاً طلبه العلم مكاناً لتلقّي دروسهم الفقهية، والأدباء والشعراء للتباري بنتائجهم، والوطنيون مكاناً لتجمعاتهم المناهضة للسياسة الاستعمارية، ومنطلقاً لانتفاضاتهم الشعبية^(٥٣).

وأشار كمال الدين إلى عدد من المعالم التراثية في المدينة مثل (مسجد الهندي)^(٥٤) الذي يقع في إحدى محلات النجف الأربع، محلة الحويش، على يمين الخارج من الصحن الحيدري الشريف باتجاه شارع القبلة (الرسول ﷺ)، وقد بُني مع مطلع القرن التاسع عشر، وعده ثاني أكبر المعاهد العلمية بعد المرقد المقدّس؛ إذ إنّ المسجد الهندي، فضلاً عن وظيفته العبادية، يستقبل العشرات من حلقات الدرس الحوزوي، وتلقى فيه المحاضرات الفقهية بشكل يومي بعد أداء فروض الصلاة^(٥٥).

وتحدّث المؤلف عن أهمّ مظاهر الحياة الفكرية في النجف، كالمجلات والمطابع، وأشار إلى وجود أدباء بارزين وشعراء مجيدين وصحف يكتب فيها ذوو الأقلام المبدعة^(٥٦).

أمّا المطابع والمؤلّفات، فقد وصف محمّد عليّ كمال الدين حالة النجف في مطلع القرن

العشرين، إذ لا توجد أي مطبعة، وكان معظم الكتّاب والعلماء يرسلون مخطوطاتهم إلى مطابع الهند أو إيران الحجريّة، لكن ومنذ عام ١٩١٢م جُلبت أوّل مطبعة حديثة إلى النجف، إلّا أنّها سرعان ما تعطلّت مع اندلاع الحرب العالميّة الأولى ١٩١٤م، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أُسّست أكثر من مطبعة فيها، وأخذت على عاتقها طباعة كتب العلماء ودواوين الشعر^(٥٧).

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أنّ مصادر أخرى ذكرت أنّ ضخامة النتاجات الفكرية النجفية - فقهاً وأدباً - دفعت أبناء المدينة إلى البحث عن وسيلة لطبع مؤلّفاتهم في بلدهم بدلاً عن إرسالها إلى الخارج، لهذا افتتح عددٌ من المطابع، مثل (المطبعة الخشبيّة) عام ١٩٠٧م، و(مطبعة حبل المتين) ١٩٠٩م، و(المطبعة العلويّة)، ثمّ تلتها (مطبعة الغري) عام ١٩١٩م، و(المطبعة المرتضويّة) عام ١٩٢٠م، و(مطبعة الزهراء) عام ١٩٢٧م^(٥٨). ولم تكن مهمّة المطابع المذكورة تقتصر على طباعة الكتب والمؤلّفات، وإنّما تعدّتها إلى المجالات والصحف النجفية التي يغلب عليها الطابع الأدبي والدينيّ المنوع، وبدأت تكثر وتتطوّر في تلك المرحلة، مثل مجلّة الغريّ التي صدرت عام ١٩٠٩م، وهي مجلة شهرية دينية أدبية، ومجلّة العلم التي صدرت عام ١٩١٠م، ومجلّة الحيرة التي صدرت عام ١٩٢٧م، وعرّج على ذكر عدد كبير آخر من الصحف النجفية^(٥٩)، لكنّه أشار بروح المؤرّخ الناقد إلى الحرج الشديد الذي كان يعانيه كتّاب النجف ونخبها المثقفة من نظرة المغلقين القاصرة إلى أمر الصحف، وقيامهم بامتهان قارئها والتضييق عليهم اجتماعياً مهما كانت سيرتهم حسنة أو نواياهم طيبة، لذا اضطروا إلى الانزواء خلف الكواليس حينما يقتنون ويقرؤون الصحف العربيّة أو الأجنبيّة أو حتّى المحليّة، خوفاً من ملاحقة المتشدّدين، وعلى الرغم من كلّ تلك المعاناة فقد واصلوا مسيرتهم بشجاعة حاملين رسالتهم السامية إلى برّ الأمان، ويعبّر عن ذلك بالقول: «وربّما هال القارئ كثرة عدد

الصحف الواردة للنجف، فاستنتج كثرة قارئها، ولكن لا أظنُّ أنَّ عدد القارئ يتجاوز المئة من إخواننا الإيرانيين، والخمسين من العراقيين الموظفين والأهليين، ومعظم هؤلاء المطالعين من الروحيين، وكانوا يتحرّجون من الجهر بقراءة الصحف في الأماكن العامّة كالأسواق والمجالس، وفي الصحن الشريف، إنَّها يجتنبون عند قراءتها. والويل كلُّ الويل لمن تراه العامّة حاملاً صحيفة بيده؛ إذ ينهال عليه السبُّ والشتم والطعن على أن لا يرى أو يُسمع ما أمكن. ولكن هي التضحية التي يقوم بها بعض أفرادٍ تأصّلت مبادؤهم، وتشربت نفوسهم روح الاخلاص، هي التضحية تدفعهم إلى صدم العامّة، وتحملهم على تلقّي الصعوبات والأذى بصدرٍ رَجِب في نيل غرضم الساميِّ ومثلهم الأعلى»^(٦٠).

وفي حديثه عن النوادي الثقافيّة (المجالس)، والمكتبات العامة، حفظ لنا كمال الدين عددًا من أسماء المكتبات الأهليّة العامّة التي كانت في النجف واندردت معالمها بمرور الزمن، مثل المكتبة الحسينيّة في محلة العمارة، ومكتبة المدرسة المرتضويّة المار ذكرها سلفاً، والتي يرتادها بعض محبّي المطالعة من طلبتها ومن غيرهم. وذكر عددًا من المجالس الثقافيّة التي تقيمها البيوتات النجفيّة، ويجتمع فيها الأدباء والشعراء وعلماء الدين ليطرحوا خلالها المسائل الفقهيّة الشائكة والنكت الشعريّة اللافتة، ليتداولوا فيها ويتناولونها بروح النقد تارةً والفكاهة تارةً أخرى^(٦١). والحديث عن مكتبات النجف له خصوصيّة مهمّة؛ نظرًا لأهميّة دورها الرياديِّ ومكانتها السامية بين مظاهر الحياة الفكرية للمدينة، فقد اكتسبت المكتبات النجفيّة شهرة واسعة، فذكرها الكتاب والمؤرّخون؛ لكثرة ما فيها من كتب ومخطوطات نفيسة، نذكر منها ما كان قائماً آنذاك، مثل مكتبة الإمام عليّ عليه السلام، وتسمّى أيضًا (الحيدريّة)، وتقع داخل المرقد العلويّ المطهر، والمكتبة الحسينيّة المشار إليها، وهي أوّل مكتبة عامّة في مدينة النجف الأشرف، فيها كتب قيّمة، أسّست عام ١٩٠١م، ومكتبة الإمام كاشف الغطاء، أسّسها الشيخ

عليّ بن الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء (ت ١٨٨٣ هـ) في أواخر القرن التاسع عشر، ومكتبة جمعية الرابطة الأدبية أسّسها بعض أدباء المدينة وشعراؤها مع تأسيس الجمعية عام ١٩٣٢ م^(٦٢).

وخصّص كمال الدين حيّزاً مهماً من كتابه للحديث عن مدرسة الغريّ الأهليّة، وربّما يعود ذلك في رأيي إلى سببين، الأوّل: مساهمته المباشرة في تأسيسها، والسعي لتوسيع أنشطتها الثقافية وتنظيمها وتطويرها بشكلٍ تدريجي، مثلما مرّ، والثاني: أنّها أوّل مدرسة عربيّة أهليّة حديثة تؤسّس في النجف، إذ لم يكن فيها سوى المدرسة الرشيدية العثمانيّة التي أُغلقت مع انسحاب العثمانيين، والمدرستين الإيرانيّتين (العلويّة والمرضويّة). ويجد المتتبع في حديثه معلومات قيّمة عن تطوّر المدرسة وتنامي دورها في النهوض بالمستوى العلميّ لأبناء المدينة، وما لاقته المدرسة من المعارضة التي قادها التقليديّون المغلقون ضدّها، والجهود الرائعة المبذولة للوقوف بوجههم، والمضي بذلك المشروع العلميّ الواعد^(٦٣).

وعرّج كمال الدين على ذكر المرافق الخدميّة في النجف قديماً، وتحدّث عن المستوصفات الصحيّة القليلة، وبداية دخول الطاقة الكهربائيّة، ومضخّات الماء ومشاريع الجداول المائيّة، وقد تناول بدائيّة تلك المشاريع، وصوّر معاناة النجفيّين لمئات السنين من شظف العيش، وندرة الخدمات، وصعوبة دخول وسائل التقنيّة الحديثة، وانتقد تأخر تلك المشاريع وتعثرها^(٦٤).

وللجانب السياسيّ أهميّة كبيرة في هذا الكتاب، تمثّلت في حديث محمّد عليّ كمال الدين عن تفاصيل واسعة دارت في إطار الحياة السياسيّة النجفيّة، كادت تزول من ذاكرة المدينة ويعفى أثرها من تاريخها المعاصر؛ لولا فضل كمال الدين في تتبّعها وتثبيتها، لذلك خصّص ما يقارب نصف عدد صفحات كتابه في الفصل الخامس والأخير لهذا

المجال، ولعلّه أفاد من اشتغاله مع ثلّة من الشباب النجفيّ الواعي في الحركة الوطنيّة العراقيّة، الأمر الذي دفعه إلى تخليد النشاطات المباركة لشباب مدينته ورموزها ومناضليها الأوائل، فنراه مثلاً يشير إلى تأسيس فرع في النجف لجمعية الاتحاد والترقيّ العثمانيّة بعد إعلان الدستور والانقلاب على السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م^(٦٥)، موردًا تفاصيل مهمّة عن تصاعد نشاط المسؤولين الأتراك في النجف، وكثرة زيارات الوفود العثمانيّة المرسلّة من اسطنبول، والاجتماعات المنعقدة بينهم وبين الأعيان في النجف، مثبّتًا أسماء أبرز الذين انتموا إليها مثل الشيخ جعفر آل مانع ومحمّد سعيد كمال الدين والسيد محمّد عليّ بحر العلوم، وأهمّ نشاطاتهم^(٦٦).

وتحدّث عمّا أسماه بـ(الهيئة العلميّة) التي تألّفت في النجف بعد مدّة وجيزة من تأسيس فرع الجمعية المذكورة من علماء وطلبة العلوم الدينيّة العرب والإيرانيّين والفقهاء والهنود والأتراك وغيرهم، ولعلّه ذكر ما لم تذكره المصادر المعاصرة وتأكيد على النفس التقريبيّ الذي تحلّى به أولئك المعنّون، وكيف أنّهم اتّفقوا على إذابة المشاحنات والاختلافات والضغائن بين أبناء المذاهب الإسلاميّة لاسيما بين الشيعة والسنة، وأوضح أنّ كلّاً من الهيئة والفرع اتّفقا على التعاون والتآزر فيما يتعلّق بالدفاع عن حقوق المسلمين ومصالحهم في الدولتين العثمانيّة والقاجاريّة ضد أطماع الغرب ومحاولاته للتغلغل في تلك البلاد^(٦٧). وضرب لنا مثلاً في وقوفها المشترك ضد أطماع روسيا القيصريّة، وفضح تدخلها السافر في شؤون إيران^(٦٨) بدعمها (أي روسيا) لحاكم إيران القاجاريّ محمّد عليّ شاه عام ١٩٠٩م^(٦٩)، ووقوفها ضد العدوان الإيطاليّ على ليبيا بين عامي ١٩١٠-١٩١٢م^(٧٠)، وكيف أنّهم أقاموا المظاهرات ونظّموا الاضرابات في سبيل ذلك^(٧١).

وتناول كمال الدين دور أهالي النجف (بعلمائهم ومجاهديهم) في مساندة العثمانيّين

في عمليّة الدفاع عن أرض العراق ومقدّساته ضد قوات الغزو البريطانيّ ١٩١٤ - ١٩١٥، وما جسّدوه من أروع معاني البطولة والتضحية بالنفس والنفيس في وقائع مشهودة سبقت معركة (الشعبية) بوقتٍ طويلٍ؛ إذ إنهم جاهدوا في مناطق شرق البصرة وغرب القرنة، وذكر أسماء عددًا من طلائع شهدائهم وقادتهم الميدانيين لم يذكرها أي مصدر آخر^(٧٢).

واستعرض أيضًا الإسهام الفاعل للنجفيّين المجنّدين والمتطوّعين في الجيش العثمانيّ، أو المنضوين بين صفوف العشائر المدافعة عن شرف العراق وطهارة أرضه في معارك الشعبية، والعمارة، والكوت، وبغداد^(٧٣).

وأشار الكاتب إلى أمر على جانب كبير من الأهميّة، تمثّل في رفض النجفيّين القاطع لتدخّل السلطات العثمانيّة في شؤونهم المذهبيّة وشعائرهم الدينيّة التي اعتادوا على ممارستها سنويًّا، ولاسيما تلك المتعلّقة بذكرى واقعة الطّفّ، وقد حمل بشدّة على تعدّي العثمانيّين على تلك الشعائر، فيقول عن ذلك: «إنّ حماقة القائّمقام والشرطة سوّلت لهم منع المواكب الحسينيّة عن التظاهر في الصحن الشريف أيّام العشرة الأولى من شهر محرّم الحرام، ولم تجد معهم كلّ وسائل الإقناع التي توسّلت بها النجفيّون، فما كان إلّا أن خرجوا على أوامر الحكومة خضوعًا لتقاليدهم المذهبيّة، وزاد الطين بلّة أنّ القائّمقام أمر الشرطة فأطلقت الرصاص على المواكب وهي في الصحن الشريف، فقتل كثيرًا من الإبرياء مع امرأة، على الرغم من هذه الجسارة وهذا الإقدام لم تتمكّن الشرطة من الثبات، واضطرّها النجفيّون إلى الالتجاء والاختفاء في دار الحكومة، ومنذ هذا الاعتداء الصريح غير المشروع، منذ هذه الاستهانة والاستهتار في التدخّل في القضايا الدينيّة والمذهبيّة، منذ هذا القتل الفظيع في المجمع الدينيّ المقدّس، يبدأ تاريخ انقلاب النجفيّين في حكومتهم، يبدأ تغير اتجاه النجفيّين نحو الحكومة العثمانيّة... وأصبح

النجفيّ يعتقد أنّ الحكومة العثمانيّة حكومة معادية لا يطمئن لها»^(٧٤).

وقد ازدادت دائرة النجفيّين المؤيدين للانتفاض على الدولة العثمانيّة المتداعية توسّعاً؛ بسبب الإخفاقات والهزائم المتكرّرة التي مني بها العثمانيّون، والهزائم الكبيرة التي لحقت بهم أمام زحف القوات البريطانيّة الدؤوب بأنّحاء بغداد^(٧٥). فقد تابع كمال الدين انتفاضة النجف ضد الحكم العثمانيّ عام ١٩١٥ م، ومن المعروف أنّ أحداثها لم تحظّ بالاهتمام الكافي أبداً من الباحثين؛ نتيجة فقدان المعلومات التي بحوزتهم، وعدم ترابط أحداثها، بينما يقدّم لنا في كتابه مادّة ممتعة وجديدة عنها، بدءاً من هروب بعض الشباب من الخدمة في الجيش العثمانيّ بعد هزيمته في الشعيبة، وسوء معاملة ضباطه للعرب وإهانتهم ومطارداتهم، فردّ شباب النجف بمحاصرة مقار الحكومة وثكنات جيشها، وقيامهم بمهاجمتها وحرقتها، وإطلاق سراح الجند والموظفين فيها^(٧٦).

وتحدّث السيّد كمال الدين عن سنوات ثلاث، تعدّ شحيحة بمعلوماتها، زاخرة بأحداثها، امتدّت بين عامي ١٩١٥-١٩١٨ م، جرى فيها تثبيت البريطانيّين سلطتهم في منطقة الفرات الأوسط، واهتمامهم بترصين علاقاتهم مع زعمائها، فيما قام النجفيّون بتحركات مضادّة أدّت إلى اضطرار البريطانيّين إلى تخفيف وجودهم العسكريّ المباشر، وانسحاب الكابتن بلفور (F.C. Bulfor) - أوّل حاكم سياسيّ لواء النجف والشاميّة - تدريجيّاً من المناطق المحيطة بالمدينة، واستبدال الضباط السياسيّين بالكابتن مارشال الذي تمّ اغتياله بعد أيّام قلائل من وصوله بهجوم كاسح على حاميته العسكريّة^(٧٧).

وكان لانفاضة النجف على البريطانيّين في آذار-نيسان ١٩١٨ م نصيبٌ وافرٌ من المادّة التاريخيّة الواردة في كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن)؛ إذ أعطى صورة دقيقة للظروف الموضوعيّة التي أحاطت بالانتفاضة، ودفعت القائمين عليها إلى التعجيل في إعلان ساعة الصفر، والكيفيّة التي سار عليها البريطانيّون في محاصرة النجف وقيامهم

بالتضييق عليها والتقدّم التدريجي نحوها، والمحاولات الشجاعة لأبنائها لفكّ الحصار وإجهاض خطط اقتحامها^(٧٨).

ربّما قام بعض الباحثين بدراسة الانتفاضة والخوض في تفاصيلها^(٧٩)، لكنّ الذي ميّز كتابات كمال الدين عنها أنّه أعطى صورة رائعة عن حالة الانتقام واللإنسانية التي انتهجها البريطانيون ضدّ ثوّار النجف، واعتبارهم أسرى حرب، وقيامها بنفيهم في ظروف مرعبة وبشعة، إذ يقول: إنّ الأسرى كُبلت أيديهم وأرجلهم بسلاسل الحديد، وبعد أن قاسوا عذاب الركوب والنزول في الطريق من النجف إلى بغداد، ثمّ إلى البصرة، وُضعوا في باخرة أفلّتهم إلى الهند، وقد لاقوا من الامتهان والضرب الموجه ما يفوق حدّ الوصف، وقد زادت مصيبتهم بأن عانوا كثيراً من حرّ البحر ورطوبته العالية، فاتّقدت أفئدتهم الملتهبة بالآلام، وأراد بعضهم رمي نفسه في البحر، وحاولوا التمرد مرّتين، لكنّ الحراس قمعوهم وأصابوا بعضهم بجراحات. وعند وصولهم إلى ميناء (بومباي) نزعوا ألبستهم وألقوا عنهم الحديد والأصفاد، وأبدلت بملابس مناسبة يُظنُّ أنّها أحضرت لهم من قبل جمعية إسلامية هندية، وبعد ذلك تمّ نقلهم بالقطار إلى (سمر بود) شمال الهند، ووضعهم في قلعة كبيرة للاعتقال ضمن ثلاثة عشر ألف من الأسرى، ولم يعودوا إلّا بعد إعلان الهدنة، وبقوا معتقلين بالبصرة حتّى كفّلتهم أقرباؤهم بمبالغ طائلة، وجاءوا إلى النجف^(٨٠).

المبحث الثالث

المقابلات والمشاهدات العيانية وقيمتها العلمية بين مصادر الكتاب

على الرغم من أهميّة الوثيقة، وكما قيل: إنَّ التاريخ يُصنع من الوثائق التي خلّفها أفكار السلف وأفعالهم، لم يجد كمال الدين حرّجاً في استخدام المشاهدات العيانية والمرويّات الشفويّة مصدرًا أساسيًا، وأحياناً الوحيد، لتقديم معلومات تاريخيّة على قدر كبير من الموضوعيّة. وقد لاحظ الباحث في ضوء قراءته لكتابات كمال الدين، ولاسيما كتابه هذا، أنّه حينما يعتمد على الروايات الشفاهيّة يكون حذرًا من العوامل الشخصية التي قد تشوّه المعلومة التاريخيّة بالنظرة الضيقة أو بالتحيز الخاص، وأنّ الصفة الموضوعيّة كانت حاضرة في كتاباته، وروح النقد موجودة، بحيث إنّك تجد عدم تأثره بالمسلّمات الشائعة إلّا حينما يخضعها لسلطة العقل.

ومثال للأحداث التي عاصرها بنفسه ونقلها في كتابه، ما ساقه للقارئ ممّا علّق في ذاكرته وتأثرت به عاطفته، وهو ابن السابعة من العمر تقريباً، وذلك حين ثارت براكين حرب شعواء بين قبائل البادية القريبة للنجف، وتحديدًا بين قبيلتي شمّر وعنزة على أطراف منخفض بحر النجف^(٨١).

فكان يتسلّق التلال العالية القريبة من السور مع جمهرة من الناس، ويشحذ بصره مع المتطلّعين في انتظار الأخبار، وترهف أذنه لسماع أزيز الرصاص وأحاديث الجمهور، وإذا به يتفاهل بانتصار شمّر وخذلان عنزة، وروى بعضًا من الأفاصيص عن بطولة

رجال شمّر مع كيل المدح والإطراء لهم، ويتذكّر الطعن الموجّه إلى عنزة، ومنذ تلك الحادثة طُبعت نفسه على حقد عظيم ضد عنزة وحب لشمّر بحسب قوله^(٨٢). وهذا الميل النجفيّ لشمّر له أسبابه؛ إذ إنّ القبيلة المذكورة مسؤولة عن ترويح تجارة البادية ورجالها، ينقلون السلع والبضائع من حواضر الجزيرة العربيّة إلى النجف وبالعكس، وعلى هذا الأساس يوضع وقوف النجف مع شمّر يوضع في منزلة الدفاع عن المصالح الحيويّة؛ لكونها مدينة دينيّة علميّة أوّلاً، وتجاريّة ثانياً، تقع على طرف البادية، وتحتاج إلى تأمين طرقها.

وروى لنا ما رواه له بعض المسنّين النجفيّين، كيف إنّ أهل النجف سيّروا أوّل نجدة قويّة إلى شمّر، ضربت مجاميع من قبيلة عنزة الذين كانوا محيطين بموكب لشمّر، يعمل في نقل تجارة حائل إلى النجف، ضربتها في الصميم، وخلّصت الركب والتجارة عنوة^(٨٣).

وأيضاً، لقد كان محمّد عليّ كمال الدين شاهداً شاخصاً على الانتفاضات والحركات الوطنيّة في عصره، ومنها ثورة العشرين، تلك التي دفعت بجموع الشعب العراقيّ آنذاك إلى المطالبة باستغلال بلادهم وإطلاق حريّاتهم، ثمّ الإصرار على رفض الحماية البريطانيّة بأيّ صورة، فضلاً عن رواياته عن إعداده جريدتي (الاستقلال والفرات) اللتين صدرتا في مدينة النجف الأشرف في أثناء الثورة، وكانا لسان حالها، تغطيان أبناء المعارك الحربيّة في شتّى جبهات القتال، وتنشر فتاوى علماء الدين^(٨٤).

والتقى كمال الدين مع من شاهد مدينته النجف مركزاً لحلّ بعض القضايا والمشاكل بين قبائل الجزيرة العربيّة والقبائل العراقيّة، في الحضر والمدن، فقد كانت مركزاً للموادعات والأحلاف والمصالحة، وأتمّها كانت تنافس في مكائنها الكثير من مدن الجزيرة وتنازعها، وعبر عنها كمال الدين أنّها: «سيف العراق المشهر دائماً وأبداً»^(٨٥).

وقد كان يروي من دون ذكر أيِّ مصادر أحياناً، إلاّ النزر، وينقل في الوقت نفسه الشيء الكثير من مشاهداته العيانية وبعض الروايات الشفويّة التي تنقل له بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر، فضلاً عن عدد قليل من الكتب التاريخيّة، مثل كتاب (التاريخ السائر في ذكرى عبد الحميد زاهد الثائر) لمؤلّفه توفيق زاهد الذي تحدّث فيه عن أحد رجال الثورة العراقيّة الكبرى ١٩٢٠م ونشأته ودوره الاجتماعيّ ووفاته، إلى جانب ترجمة الكثير من الشخصيات العراقيّة، والنجفيّة خصوصاً^(٨٦). ورجع كمال الدين إلى كتاب (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لابن بطّوطة الذي ذكر فيه الأماكن المقدّسة في العراق، ومنها النجف، وكتاب (تراجم مشاهير الشرق) لمؤلّفه جرجي زيدان الذي يتحدّث عن شخصيات عربيّة وسير حياتهم^(٨٧).

الخاتمة

اهتمَّ محمّد عليّ كمال الدين بتاريخ النجف، وعُدَّ من مؤرّخيها البارزين، وشاهدًا حيًّا على حقبة مهمّة من تاريخ مدينته النجف ووطنه العراق، اتّسمت أعماله - ولاسيما الكتاب موضوع البحث - بدقّة التوصيف للوقائع التاريخية التي رسمها بذاكرة فذة قلّ نظيرها. كان يدقّق في الأسماء والتواريخ والوقائع بصورة كبيرة، ثمّ يُقدّم الأحداث بأسلوبٍ سلسٍ يمزج فيه مروياته التاريخية بالأدب والجغرافية. كانت لديه ثقافة واسعة، اكتسبها من خلال اطلاعه العمّيق على مصادر المعرفة التاريخية وعلاقاته الاجتماعية الطيبة.

ومن المهمّ القول إنّ محمّد عليّ كمال الدين قد وضع هدفًا عامًّا لمؤلّفاته وأبحاثه التاريخية، وهو إيجاد إضافة جديدة ومنفعة مجتمعيّة عامّة تصبُّ في خدمة الوطن، ولاسيما أنّه كان يعيش مرحلة حسّاسة من تاريخ البلاد، على مستوى تأسيس الدولة وصناعة المجتمع، ويستلزم الأمر حلولًا تتسم بالعقلانيّة والواقعيّة، وشعورًا بالمسؤوليّة تجاه الأُمَّة، تستنبط الإبداع بتحليل المعطيات الواقعيّة للأُمَّة وحاجاتها الفعلية، وشحذ ذاكرتها التاريخيّة، واستلهام الدروس والعبر التي تتقارب مع الواقعيّة، وتبتعد بقدرٍ معيّن عن المثاليّة.

هوامش البحث

- (١) محمّد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ج٣، ص١١٠-١١١.
- (٢) يُنظر: عباس محمّد الزبيديّ الدجيلي، الدرر البهيّة في أنساب عشائر النجف العربيّة، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٨٨، ج١، ص١٩ و٢٦ و٣٧؛ ج٢، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٩٠، ص١٣٨ و٣٦٦.
- (٣) آقا بزرك الطهراني، طبقات أعيان الشيعة (الضياء اللامع في عباقره القرن التاسع)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٩، ج٦، ص١٣٨.
- (٤) حسن عيسى الحكيم، النجف الأشرف والحلّة الفيحاء: صلات علميّة وثقافيّة عبر عصور التاريخ، مطبعة الغري الحديثة، النجف ٢٠٠٦، ص٨٧-٨٨.
- (٥) صباح نوري المرزوك، حلّيات الحكيم، مجلّة كليّة التربية الأساسيّة، جامعة بابل، العدد٧، آيار ٢٠١٢، ص١٢٢.
- (٦) يمكن الأطلاع على معلومات وافية عن واقع الحركة الفكرية في الحلّة في كتاب: صباح نوري المرزوك، النهضة الفكرية في الحلّة أرشيف الحياة الفكرية في الحلّة منذ تأسيسها حتى اتخاذها عاصمة للثقافة العراقية، بغداد، دار الأرقم، ٢٠٠٨؛ عباس إبراهيم الجبوريّ وصباح نوري المرزوك، لمحات عن ماضي مدينة الحلّة وحاضرها، بغداد، مطبعة المنتبيّ، ٢٠٠٢، ص٣٧-٥٥.
- (٧) محمّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، ص١٩-٢٠.
- (٨) عن الأسر والمجالس العلميّة والشخصيات التي أنجبتها مدينة الحلّة يُنظر: كريم مطر حمزة الزبيديّ ويوسف كاظم جعيل الشمريّ، صفحات من تاريخ الحلّة، عمّان، مؤسّسة دار الصادق الثقافيّة، ٢٠١٣، ص٢٨٧-٢٩٥.
- (٩) حسن عيسى الحكيم، مدرسة الحلّة العلمية ودورها في حركة التأسيس المعرفيّ، منشورات المكتبة الحيدريّة، مطبعة شريعت، ١٤١١هـ، ص٣٣١-٢٤٢.
- (١٠) هناء حسين علوان خوير، الاتجاهات الحديثية لدى فقهاء الإمامية فخر المحققين أنموذجاً،

- أطروحة دكتوراه، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٢، ص ١١-١٢.
- (١١) حسن دخيل الطائي، النهضة الأدبية في الحلة واتجاهاتها الوطنية ١٨٠٠-١٩٢٠، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٠، العدد ١، ٢٠١٢، ص ٧٧-٧٨.
- (١٢) ستار علك عبد الكاظم الطفيلي، التطورات السياسية في العراق وموقف النخبة السياسية البرلمانية في لواء الحلة منها ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣، ص ٣٨.
- (١٣) محمد عليّ يعقوبي، البابلّيات، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٥٤، ج ١، ص ١٥١.
- (١٤) يُنظر: جعفر الحلّي، سحر بابل وسجع البلابل، ديوان شعر، تحقيق: محمد حسين كاشف الغطاء، بيروت، دار الأضواء، ٢٠٠٣.
- (١٥) للاطلاع على ترجمة لهؤلاء العلماء والشعراء يُنظر: سعد الحدّاد، موسوعة أعلام الحلة منذ تأسيس الحلة حتى نهاية ٢٠٠٠، بابل، مكتب الغسق، ٢٠٠١، ج ١، ص ٣٦ و ٧ و ٢٤٩ و ٢٥١.
- (١٦) عليّ الخناقاني، مقدّمة كتاب ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلّومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ مؤلّفه محمد عليّ كمال الدين، بغداد، دار التضامن، ١٩٧١، ص ١-٢.
- (١٧) أسعد محمد عليّ النجّار، الدرس النحويّ في الحلة، مركز بابل للدراسات الحضارية التاريخية، ص ٤٧-٤٨.
- (١٨) للتفاصيل يُنظر: سيف نجاح مرزه أبو صبيح، تاريخ النجف الفكريّ في عهد المليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥، ص ٦٦-٨٨.
- (١٩) كاظم عبود الفتلاويّ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، مؤسّسة المواهب، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٧٤.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٧٤؛ صائب عبد الحميد، معجم مؤرّخي الشيعة، مطبعة محمد، قم، ٢٠٠٤، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٦.
- (٢١) كامل سلمان الجبوريّ، مذكّرات السيّد محمد عليّ كمال الدين، مطبعة العانيّ، بغداد، ١٩٨٦، ص ١١.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١١-١٢.
- (٢٣) محمد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٢٤) كامل سلمان الجبوريّ، النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، بيروت، دار القارئ للنشر والتوزيع، د.م، ٢٠٠٥، ص ٤٢-٤٨.

- (٢٥) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوريّ، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١٨٤؛ فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ وتناجها، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٢، ص ٧٧.
- (٢٦) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٢٤٨.
- (٢٧) حميد المطبعيّ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٩٣-١٩٤.
- (٢٨) كامل سلمان الجبوريّ، مذكرات السيّد محمّد عليّ كمال الدين، ص ١١-١٢.
- (٢٩) محمّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيّة الكبرى لسنة ١٩٢٠، بغداد، مطبعة التضامن، ١٩٧١، ص ١٠.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠-١١؛ كامل سلمان الجبوريّ، مذكرات السيّد محمّد عليّ، ص ١٢؛ صائب عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٢٧٦.
- (٣١) عبد الستار شنين الجنابيّ، تاريخ النجف الاجتماعيّ ١٩٣٢-١٩٦٨، بيروت، مطبعة ديموبرس، ٢٠١٠، ص ٤٢٥.
- (٣٢) كامل سلمان الجبوريّ، مذكرات السيّد محمّد عليّ كمال الدين، ص ١٢.
- (٣٣) كاظم عيود الفتلاويّ، ص ٥٧٥؛ محمّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها، ص ١٠.
- (٣٤) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٢٣.
- (٣٥) للاطلاع على تفاصيل حياة (سعد محمّد صالح جريو) ودوره السياسيّ والاجتماعيّ والإداريّ في تاريخ العراق المعاصر يُنظر: ستار جبار الجابريّ، سعد صالح ودوره السياسيّ في العراق، ط ١، بغداد، مطبعة المشرق، ١٩٩٧.
- (٣٦) للمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب يُنظر: محمّد عليّ كمال الدين، سعد صالح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩؛ ستار جبار الجابريّ، المصدر السابق، ص ٤٢.
- (٣٧) محمّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، ص ١-٢٥.
- (٣٨) كامل سلمان الجبوريّ، مذكرات السيّد محمّد عليّ كمال الدين، ص ١-٥.
- (٣٩) محمّد عليّ كمال الدين، التطوّر الفكريّ في العراق، شركة التجارة، بغداد، ١٩٦٠.
- (٤٠) محمّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ص ١١.
- (٤١) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ١٦-١٧.

- (٤٢) المصدر نفسه، ص ١٧.
- (٤٣) عليّ الخاقانيّ، مقدّمة كتاب ثورة العشرين، ص ١١.
- (٤٤) للتفاصيل عن حياة (كامل سلمان الجبوريّ) وجهوده في حقل المعرفة التاريخيّة، يُنظر: وسن صاحب الجبوريّ، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوريّ دراسة تحليليّة، النجف، دار المواهب للطباعة والنشر، ٢٠١٣ م.
- (٤٥) للمزيد من التفاصيل يُنظر: محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٧٣.
- (٤٦) للتفاصيل يُنظر: كاظم محمّد عليّ شكر، تاريخ حركة الشمرت والزكرت، (مخطوطة)، محفوظة في مكتبة مؤسّسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف، رقم (٧٣٠)، ١٩٩٥ م، ورقة ٢-٣ وما بعدها.
- (٤٧) المصدر نفسه، ورقة ٣٨.
- (٤٨) هو الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناحيّ المالكيّ، ولد في النجف عام ١٧٤٣ م، وترعرع فيها وتتلّمذ على أيدي كبار علمائها، كان أستاذًا كبيرًا في الفقه وعلم الكلام، واسع المعرفة بالأحكام، قاد عملية التصديّ للهجمات الوهابيّة على إلى النجف، ترك عددًا من المؤلّفات القيّمة، أبرزها (كشف الغطاء عن خفيّات مبهمات الشريعة الغراء)، و(القواعد الجعفرية في شرح أبواب المكاسب). توفيّ عام ١٨١٣ م. يُنظر: محسن الأمين العامليّ، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط ٥، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٠، ج ٤، ص ١٠٠.
- (٤٩) يُنظر: مجموعة باحثين، موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسيّ الحديث والمعاصر، جميل موسى النجّار، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر، ج ١، ٢٠١٣، ص ٤٨-٤٩.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٤٠-٤١.
- (٥١) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٦١-٦٤.
- (٥٢) عن تاريخ المرقد المطهّر ووصفه العمرانيّ، يُنظر: حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج ٢ (تاريخ المرقد الحيدريّ الشريف)، قم، مطبعت شريعت، ١٤٢٧ هـ، ص ٧-١١٧.
- (٥٣) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٥٨.
- (٥٤) محمّد حسين بن عليّ بن محمّد حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تحقيق: عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين، قم، مطبعة نكارش، ١٤٢٧ هـ، ص ٢٥٩.
- (٥٥) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٦١.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ٧٧-٨٣.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ٨٠-٨٣.

(٥٨) للمزيد من التفاصيل عن المطابع النجفيّة والمظاهر الأخرى للحياة الفكرية في النجف يُنظر: محمّد باقر أحمد البهادليّ، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، إيران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٤، ص ١٢٨-١٣٢.

(٥٩) عن الصحف النجفيّة في تلك المدّة يُنظر: كاظم مسلم العامريّ، الاتجاه الوطنيّ والقوميّ للصحافة النجفيّة ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كليّة الآداب، ٢٠٠٠، ص ٦٢-٦٣؛ عليّ الخاقانيّ، تاريخ الصحافة في النجف، بغداد، مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٩، ص ٧-٨.

(٦٠) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٧٩.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٦٢) يُنظر: جعفر الخليليّ، موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف، بغداد، دار التعارف، ١٩٦٦، ج ٢، ص ٢٤٣؛ عبد الهاديّ الفضليّ، دليل النجف الأشرف، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٥، ص ٨١. وللتفاصيل عن الجهود العلميّة لجمعية الرابطة الأدبيّة يُنظر: حسن عيسى الحكيم، الفصل، ج ١٨، ص ٨٩-٩٨.

(٦٣) للتفاصيل يُنظر: محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ٨٧-٩٣.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٩، و ص ١٢٥-١٢٦.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٥٣.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٥.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) للتفاصيل عن الدعم الروسيّ لمحمّد عليّ شاه يُنظر: صباح كريم رباح الفتلاويّ، إيران في عهد محمّد عليّ شاه ١٩٠٧-١٩٠٩، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٣، ص ١٥٢-١٦٢.

(٧٠) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ١٤٢-١٤٥.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٤٧-١٤٩.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٧٢-١٧٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٧٥) عبد الرزاق الحسينيّ، الثورة العراقيّة الكبرى، بغداد، ١٩٧٤، ص ٧٩-٨٠؛ منذر جواد مرزه،

مختصر تاريخ النجف الأشرف ومن أسماء رجالها وشعرائها، النجف عاصمة الثقافة الإسلاميّة،
٢٠١٣، ص ١٨٧.

(٧٦) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ١٦٠-١٦٢.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ١٨٠-١٨٤.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١٩٢-١٩٣.

(٧٩) يُنظر على سبيل المثال: حسن الأسديّ، ثورة النجف على الأنكليز أو الشرارة الأولى لثورة
العشرين، بغداد، دار الحرّيّة للطباعة، ١٩٧٥؛ حميد عيسى حبيبان، حقائق ناصعة عن ثورة
النجف الكبرى ١٩١٧، النجف، مطبعة الغربيّ الحديثة، ١٩٧٠؛ عبد الرزاق الحسينيّ، ثورة
النجف بعد مقتل حاكمها المارشال، بيروت، د.مط، ١٩٧٢.

(٨٠) محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص ١٩٦-١٩٧.

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ٤١-٤٢.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٢-١٣.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

١. صباح كريم رباح الفتلاوي، إيران في عهد محمّد عليّ شاه ١٩٠٧-١٩٠٩، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٣.
٢. ستار علك عبد الكاظم الطفيلي، التطوّرات السياسيّة في العراق وموقف النخبة السياسيّة البرلمانيّة في لواء الحِلّة منها ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير، كليّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣.
٣. سيف نجاح مرزه أبو صبيح، تاريخ النجف الفكريّ في عهد المماليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥.
٤. هناء حسين علوان خوير، الأتجاهات الحديثيّة لدى فقهاء الإماميّة فخر المحقّقين أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، كليّة الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.
٥. كاظم مسلم العامريّ، الاتّجاه الوطنيّ والقوميّ للصحافة النجفيّة ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كليّة الآداب، ٢٠٠٠.

ثانياً: الكتب المطبوعة

٦. أسعد محمّد عليّ النجّار، الدرس النحويّ في الحِلّة، مركز بابل للدراسات الحضارية التاريخية.
٧. آقا بزرك الطهرانيّ، طبقات أعيان الشيعة (الضيء اللامع في عباقرة القرن التاسع)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٩.
٨. جعفر الحليّ، سحر بابل وسجع البلابل، ديوان شعر، تحقيق: محمّد حسين كاشف الغطاء، بيروت، دار الأضواء، ٢٠٠٣.
٩. جعفر الحليّ، موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف، بغداد، دار التعارف، ١٩٦٦.
١٠. حسن الأسديّ، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين، بغداد، دار الحرّيّة للطباعة، ١٩٧٥.
١١. حسن عيسى الحكيم، مدرسة الحِلّة العلميّة ودورها في حركة التأميل المعرفيّ، منشورات المكتبة الحيدريّة، مطبعة شريعت، ١٤١١هـ.

١٢. حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج ١ (تاريخ المرقد الحيدري الشريف)، قم، مطبعت شريعت، ١٤٢٧هـ.
١٣. حسن عيسى الحكيم، النجف الأشرف والحلّة الفيحاء: صلات علميّة وثقافيّة عبر عصور التاريخ، مطبعة الغريّ الحديثة، النجف ٢٠٠٦.
١٤. حميد عيسى حبيبان، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى ١٩١٧، النجف، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٩٧٠.
١٥. حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، ١٩٩٥.
١٦. ستار جبار الجابريّ، سعد صالح ودوره السياسيّ في العراق، ط ١، بغداد، مطبعة المشرق، ١٩٩٧.
١٧. سعد الحدّاد، موسوعة أعلام الحلّة منذ تأسيس الحلّة حتى نهاية ٢٠٠٠، بابل، مكتب الغسق، ٢٠٠١.
١٨. صائب عبد الحميد، معجم مؤرّخي الشيعة، مطبعة محمّد، قم، ٢٠٠٤.
١٩. صباح نوري المرزوك، النهضة الفكرية في الحلّة أرشيف الحياة الفكرية في الحلّة منذ تأسيسها حتى أنّها عاصمة للثقافة العراقيّة، بغداد، دار الأرقم، ٢٠٠٨.
٢٠. عباس إبراهيم الجبوريّ وصباح نوري المرزوك، لمحات عن ماضي مدينة الحلّة وحاضرها، بغداد، مطبعة المتنبي، ٢٠٠٢.
٢١. عبّاس محمّد الزبيديّ الدجيلي، الدرر البهية في أنساب عشائر النجف العربية، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٨٨، ج ١-٢، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٩٩٠.
٢٢. عبد الرزاق الحسيني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال، بيروت، د. مط، ١٩٧٢.
٢٣. عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقيّة الكبرى، بغداد، ١٩٧٤.
٢٤. عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف الاجتماعيّ ١٩٣٢-١٩٦٨، بيروت، مطبعة ديمويرس، ٢٠١٠.
٢٥. عبد الهادي الفضليّ، دليل النجف الأشرف، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٥.
٢٦. عليّ الخاقانيّ، تاريخ الصحافة في النجف، بغداد، مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٩.
٢٧. عليّ الخاقانيّ، مقدّمة كتاب ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيّة الكبرى لسنة ١٩٢٠ لمؤلّفه محمّد عليّ كمال الدين، بغداد، دار التضامن، ١٩٧١.
٢٨. فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٢.

٢٩. كاظم عبود الفتلاويّ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، مؤسّسة المواهب، بيروت، ١٩٩٩.
٣٠. كامل سلمان الجبوريّ، مذكّرات السيّد محمّد عليّ كمال الدين، مطبعة العانيّ، بغداد، ١٩٨٦.
٣١. كامل سلمان الجبوريّ، النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، بيروت، دار القارئ للنشر والتوزيع، د.م، ٢٠٠٥.
٣٢. كريم مطر حمزة الزبيديّ ويوسف كاظم جغيل الشمريّ، صفحات من تاريخ الحِلّة، عمّان، مؤسّسة دار الصادق الثقافيّة، ٢٠١٣.
٣٣. مجموعة باحثين، موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسيّ الحديث والمعاصر، جميل موسى النجّار، ج ١، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر، ٢٠١٣.
٣٤. محسن الأمين العامليّ، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط ٥، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٠.
٣٥. محمّد باقر أحمد البهادليّ، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، إيران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٤.
٣٦. محمّد حسين بن عليّ بن محمّد حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تحقيق: عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين، قم، مطبعة نكارش، ١٤٢٧هـ.
٣٧. محمّد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥.
٣٨. محمّد عليّ كمال الدين، سعد صالح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩.
٣٩. محمّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧.
٤٠. محمّد عليّ كمال الدين، التطوّر الفكريّ في العراق، شركة التجارة، بغداد، ١٩٦٠.
٤١. محمّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠، بغداد، مطبعة التضامن، ١٩٧١.
٤٢. محمّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربيع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوريّ، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٤٣. محمّد عليّ اليعقوبيّ، البابلّيات، المطبعة العلميّة، النجف، ١٩٥٤.
٤٤. منذر جواد مرزه، مختصر تاريخ النجف الأشرف ومن أسماء رجالها وشعرائها، النجف عاصمة الثقافة الإسلاميّة، ٢٠١٣.
٤٥. وسن صاحب الجبوريّ، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوريّ دراسة تحليليّة، النجف، دار المواهب للطباعة والنشر، ٢٠١٣.

ثالثاً: المخطوطات

٤٦. مخطوطة، محفوظة في مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف، رقم (٧٣٠)، ١٩٩٥ م.

رابعاً: البحوث والدراسات

٤٧. حسن دخيل الطائي، النهضة الأدبية في الحلة وأمّجهاها الوطنية ١٨٠٠-١٩٢٠، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٠، العدد ١، ٢٠١٢.
٤٨. صباح نوري المرزوك، حليّات الحكيم، مجلّة كليّة التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد ٧، أيار ٢٠١٢.